

النمو الأخلاقي

نال موضوع الأخلاق والبحث فيه الاهتمام الكبير من قبل الفلاسفة وعلماء النفس في دراستهم وتعريفهم له، ويلاحظ أنه قد تباينت لمفهوم الأخلاق، فهناك من ينظر للأخلاق على أنها تتمثل في مقاومة الإغراء أو كف السلوك الخطأ.

وبعض الاتجاهات نظرت للأخلاق على أنها تقديم مصلحة الآخرين على مصلحة الفرد الذاتية وأخذ حقوق الآخرين بعين الاعتبار، وأشار بعضهم للأخلاق بأنها مجموعة القواعد الاجتماعية والثقافية التي يتذوقها الفرد، التي تحكم سلوكه في المواقف الاجتماعية بقوة الضمير والواجب. يعد النمو الخلقي أحد مظاهر التطبيع الاجتماعي، التي يتعلم فيها الطفل مسايرة توقعات المجتمع والثقافة التي يعيش فيها. وتوصف القيمة الخلقية بأنها ما يتم استيعابها داخلياً وليست مفروضة من الخارج حين نلاحظ على السلوك الإنساني أنه لا يخرق معيار الحكم الخلقي بالرغم من وجود الإغراءات التي تدفعه إلى ذلك.

والنمو الأخلاقي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو الاجتماعي ويعتمد عليه. كما أن تطوره يتأثر بعلاقة المراهق بالقيم والمعايير التي يتبعها المجتمع من حوله. ومع ذلك، فإن قدرة الفرد على فهم الآخرين تتأثر بشخصيته وصفاته

الخاصة. وقد أشار ابن المقفع إلى هذا بقوله: "من جهل قدر نفسه، كان بقدر غيره جاهلاً."

النمو الأخلاقي لا يقتصر تأثيره على الفرد فقط، بل يمتد ليشمل تطور المجتمع والحضارة الإنسانية. وقد بين العالم "بيري" أن المراهق اليوم يعيش في عالم مليء بالتناقضات بين الحقائق العلمية والقيم الأخلاقية. هذا الوضع يجعله يحاول التوفيق بين تفكير عقلي يفتقر للعاطفة وعاطفة لم تصل إلى مستوى نضج عقله. ولتحقيق التوازن في هذا العالم، يحتاج الإنسان إلى التركيز على التقدم الأخلاقي بقدر اهتمامه بالتقدم العلمي والتقني، لأن كليهما ضروري لتحقيق مجتمع أكثر استقراراً وإنسانية.

ما هو الخلق؟

يعرف الخلق بأنه تكامل للعادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل. ويذهب علماء النفس إلى القول بأن مركب اجتماعي مكتسب يقوم على الخصائص وسجايا تقرها الجماعة وترضاها لنفسها. وهو بذلك أهم الدعائم الأساسية الشخصية الإنسانية. لقد أجريت تجارب عديدة لدراسة الجانب الخلقى وقد أكدت إحدى هذه الدراسات على السجايا الخلقية التالية:

١. سجايا اجتماعية: وتظهر في احترام الفرد لحقوق الآخرين أو في مدى ثقة الآخرين به وفي عدالته الاجتماعية.

٢. سجايا المرونة وتظهر في قدرة الفرد على الاندماج في الجماعة أو تجنب ذلك.

٣. سجايا القيادة وتتجلى في مقدار الفرد ورغبته في اكتساب حب الآخرين. وقدراته على توجيههم ورايتهم.

٤. سجايا الطموح وتبرز في طموح الفرد الارتفاع بمثله العليا وفي قدرته الابتكارية على اختيار نواحي الإصلاح والسير بها قدما نحو غايتهم ومثلهم العليا. وفي دراسة أخرى أشارت النتائج إلى أن الخلق يقوم على السجايا الداخلية.

1. الولاء للجماعة والفرد والنواحي المعنوية التي يدين بها المراهق.

2- الشجاعة الأدبية: وتتجلى في دفاع المراهق عن الفكرة التي يدين بها.

3. الأمانة وتبدو في النواحي العلمية والاجتماعية والمالية وغيرها.

4- تحمل المسؤولية: وتبدو في ثقة الفرد بنفسه وفي قيامه بواجباته الخلقية والاجتماعية.

5- المودة وتتجلى في الصداقة والتآخي وقد وصف ابن المعتز أهمية المودة بالتقارب النفسي بقوله (القريب بعداوته بعيد والبعيد قريب وبالرغم من أن ذكر هذه

السجايا جاء وكأنه خصال منفردة إلا أن الواقع يؤكد على أنها تترابط فيما بينها ترابطا موجبا عاليا.

وهذه السجايا يزرعها المربون أنفسهم بأولادهم منهم الذين يسهرون على تعليمهم السجايا الاجتماعية والمرونة في التعامل وأمور القيادة عن طريق تدريبهم وتمكين مهاراتهم بذلك وعن طريق اطلاعهم بقراءة الكتب والقصص التي تثار فيها تلك السجايا. كما أنهم يكونون القدوة في الولاء للجماعة والشجاعة الأدبية وتحمل المسؤولية وإفهامهم لمعاني الشجاعة والمروءة والحب والتقدير لشرائح المجتمع.